بغـــــير عنوان . . .

[إن وجدتم فى هذه الكلمة صراحة فى الوصف ، فلا تتوهموا الطبيب فأنه يصف المرض ، ليعين الدواء]

للأستاذ على الطنطاوى

كان شابا غُرّا نقياً جميلاً ، صبوح الوجه ، متأنقاً ، قد أصيب بمرض التجمل ... فلم يكن يجيء إلى المدرسة إلا متزيناً مستعداً استعداد عروس تزف إلى بعلها ، قد سفف شعره ودهنه وعطره ولبده وعقربه على صدغيه ، وحلى وجهه وصقله ، وصنع به ما لست أدرى ... فبدا أبيض أحمر مشرقا مجلواً صقيلاً ، كأنه صفحة مرآة ... وكشف عن أعالى صدره ، وأحاط عنقه بهذه العقدة التى يفتن فى عقدها واختيار لونها واتساقها مع الحُلة التى يلبسها افتناناً .... ولا يزال أبداً يمدّ يده إليها يتلمسها ، ويصلحها ويطمئن عليها ، ثم يحرك رأسه حركة غنجة يردّ بها عقارب صدغيه إلى مكانها !

وكان واضح الحبين ، أزجّ الحاجبين حتى كأنهما قد خطا بقلم ، أنجل العينين أشهلهما كأن لهما لون السماء وعمق البحر ، وكأنهما تستجديان الحب ... إذا نظر غض الطرف من الحياء ، ودانى بين جفونه ، وبرقت عيناه الناعستان فقالتا كلة فلم تتم ، فأتمها فمه القانى الصغير وشفتاه المضمومتان ... واذا تكلم تكلم بصوت لين حالم سكران ، كأن ألفاظه تقول شيئاً ، ولهجته ونبراته تقول شيئاً آخر ، تقول : إن رجولة صاحبى رجولة مزورة ! واذا مشى تثنى وتخلع وتكسر ، وماج جسمه موجاً ، وذهب كل عضو منه فى ناحية ، كأن جسمه متفكك ، قد تقطعت أوصاله وفصمت عراه وانحلت لوالبه .... وإذا دعوته أقبل الى يتهادى ويميل ، فاذا وصل الى حيث أكون ، وجد أقرب متكأ فاستند عليه ، كأنه بناء لا يقوم الا اذا اسندته بدعامة ، واذا كلمته خجل كأنه فتاة فى الخدر ، وأجاب بصوت خافت يكاد يبتلعه الخجل ، فكنت أزعق فى وجهه من الغيظ ، ثم أطرده طرداً ...

ولم يكن ينصرف الى علم أو يقبل على درس ، لأن عقله قد سال على جوانب جسمه خرقا وثيابا ، ولم يبق منه فى داخل ما ينفع لعلم أو درس ، فهو دائماً ينظر فى عطفيه ، ويتأمل ثيابه ويخرج من جيبه مشطه ومرآته ، ولولا بقية من حياء لأخرج أبيضه وأحمره وقلم شفتيه ...

وكنت أراه فى باحة المدرسة فأراه غريبا عن هؤلاء الشباب لا يطيق حراكا ، ولا يحسن لعبا ، ولا يدفع عن نفسه اعتداء ، وما فيه من الرجولة الا اسمه وبدلته

* * *

وحاولت اصلاحه ، وتعهدته بالنصح والارشاد ، فكنت كمن ينفخ فى غير ضرم ، فأيست من اصلاحه وكرهته وأبغضته ، وجعلت أزوى بصرى عنه ، وأتناساه وأهمله ، ثم افتقدته فلم أجده ، ثم علمت أنه قد فارق المدرسة

ومرت أسابيع ، ثم رأيت فى مكانه طالباً جديداً من الطلاب الذين يتدربون على الجندية ، يلبس الثوب العسكرى ، وعلى وجهه طابع الرجولة : له شاربان كاملان ، وأثر اللحية ظاهر على خديه ، والقوة والصرامة بادية فى عينيه وملامحه ؛ وكان قوى النظرات ، صماقا جهير الصوت ، ذكياً مقبلاً على الدرس ، فطناً ألمعياً ؛ وكان سريع الحركة ، جم النشاط ، اذا دعوته أقبل يسير بخطى موزونة ، يطأ الأرض وطأ شديداً ؛ وقد نصب قامته ورفع رأسه ، فاذا قام بين يدى قرع رجلاً برجل ثم رفع يده بالسلام لا كما يرفعها مثلى أو مثلك ، بل كما يرفع يده الجند بالسيف يستله من قرابه ، واذا كلمته أجاب بجرأة وأدب ؛ وكنت أراه فى ساحة المدرسة ، فأراه على اجتهاده واقباله على العلم ، قوياً نشيطاً يصارع الطلاب ويباطحهم ، فاذا تمكن من منهم وعلا عليهم عفا عنهم وأبقى عليهم ، فكنت أعجب من قوته ونبله ، وعلمه وفضله ، وأكبر فيه هذه الصفات

* * *

ثم انى أحببت أن أشجعه وأضرب منه للطلاب مثلاً ، فتكلمت وأثنيت ، وقلت : كم بين هذا وبين ذاك من فرق ...!!

فصاح الطلاب : ومن هذا ومن ذاك ؟ انهما شخص واحد !

قلت : ويحكم ! فأى معجزة هذه التى بدلته شخصاً آخر ، وأنشأته انشاء جديداً ؟

قالوا : يا أستاذ ... إنه تدرب أسابيع على الجندية ... ...

(بغداد) على الطنطاوى